

التداولية وجمالية التلقي

Pragmatics and the aesthetics of reception

Author Information / معلومات الباحث

Field / البيان	Information / المعلومات
Full Name / الاسم الكامل	Zoulikha Djenadi / جنادي زليخة
Institution / المؤسسة / الجامعة	University of Tipaza / جامعة تيبازة
Country / الدولة	Algeria / الجزائر
Email / البريد الإلكتروني	zodjenadi@gmail.com
ORCID iD	-

Article Dates / تواريخ المقالة

تاريخ النشر Published	تاريخ القبول Accepted	تاريخ الاستلام Received
01-06-2026	29-12-2025	05-12-2025

<https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/>

Abstracts / الملخص

الملخص:

تهدف هذه الدراسة في جانبها النظري والتطبيقي إلى إبراز نقاط التقاطع بين نظريتين لهما مرجعيتين مختلفتين، وهما التداولية ونظرية القراءة؛ إذ يهتم كلاهما بدراسة المعنى الذي يقصده المتكلم ، كما يتقاطعان في القراءة النسقية، السياقية؛ أي استثمار الانسجام التداولي بين عناصر النص الداخلية (كالقرائن اللغوية، و المنطقية، و الإشارات، والبنيات الصغرى...) و بين عناصر السياق: التاريخية، و الثقافية، و الاجتماعية وغيرها دون إهمال للمعرفة الخلفية.

الكلمات المفتاحية: التداولية؛ جمالية التلقي؛ تحليل الخطاب؛ القراءة النسقية السياقية.

Abstract:

This study, in both its theoretical and applied aspects, aims to highlight the points of intersection between two theories with different references: pragmatics and reading theory. Both are concerned with studying the meaning intended by the speaker, and they diverge in systematic, contextual reading; that is, in utilizing pragmatic coherence. The analysis considers the clues, signals, and interplay between internal textual elements such as linguistic and logical microstructures, and contextual elements such as historical, cultural, and social factors, while also considering background knowledge.

Keywords: Pragmatics; Reception Aesthetics; Discourse Analysis; Contextual Systemic Reading.

[/https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0](https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0)

حَفَرِيَّاتُ الْمَعْرِفَةِ | 1 | ISSN: 2830-912X | Hafriyat Al-marefa

1- مقدمة

تتقاطع التداولية ونظرية القراءة في دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم ، فالتداولية حسب الفيلسوف الأمريكي كرايس - عزاب التداولية - تساعد السامع في التوصل إلى استدلالات عن المعنى، الذي قصده المتكلم اعتمادا على ما قاله، وعلى الافتراضات المسبقة، والمبادئ التواصلية التي يحرص المتكلم على اتباعها أثناء المحادثة، وكذلك نظرية التلقي تهتم بالقصدية ، وبالمعنى و التي ينتجها المتلقي أثناء تفاعله مع النص تفاعلا أفقيا كان أم عموديا؛ حيث يقوم بملء الفجوات والثغرات مستثمرا

المعرفة الخلفية في التأويل، وهي مجموع الافتراضات العامة للمعارف الثقافية، والاجتماعية، والحقائق الواقعية، وهو ما يعرف عند أيزر بالسجل.

كما يتقطعان في القراءة النسقية، السياقية؛ أي استثمار الانسجام التداولي بين عناصر النص الداخلية (كالقرائن اللغوية، والمنطقية، والإشارات، والبنى الصغرى...) و بين عناصر السياق: التاريخية، والثقافية، والاجتماعية وغيرها.

إضافة إلى ذلك، يستند المحلل على مدار حديث الكلام أو الموضوع، و المقام (الزمان والمكان)، و الحدث التواصلية، والعلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين، كالوضع الجسمي، وتقاسيم الوجه والإيماءات و كيفية التواصل مع المتلقي (كتابة أو كلاماً، أو إشارة)، كما يتوجب عليه معرفة نظام اللغة المستعملة الفصحى أو العامية، وشكل الرسالة: درشة كانت أم جدالاً... الخ

ومن أهم المفاهيم التي تركز عليها التداولية ، الأفعال الكلامية التي ينتج عنها فعل إنجاري، أو تأثيري.

و مع العلم، أنّ الكلام في اللغة اليومية يهدف دائماً إلى التأثير على الآخر وإلى تحقيق غاية ما، كما أنّ المحادثة هي دائماً محاولة لجر الآخر إلى اتخاذ موقف ما، و هو لا ريب أكثر وضوحاً وأشد قوة في الأعمال الأدبية؛ حيث يسعى الكاتب على أن لا يترك شيئاً للصدفة؛ إذ ينتقي المفردات بصفة الواعية، و صارمة وينظمها بعد تفكير وإمعان.

وهنا تتجلى أهمية التداولية للعيان، المتمثلة في التأثير والتأثر في قلب الخطاب العادي. فإذا صح أنّ وظيفة الكلام هي بأن يؤثر في الآخرين أكثر مما يسعى إلى إخبارهم فهذا يعني أنّه من الصعوبة بمكان أن نفهم كل الفهم خطاباً ما إذا اكتفينا بإرجاعه إلى صاحبه. وهذا يعني كذلك أن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار الثنائي الذي يشكله الشخص المتكلم والشخص الذي يوجه إليه كلامه.

بناء على ذلك، سنقوم بدراسة تركز على علاقة التداولية باللسانيات، والنقد الأدبي، وعليه أثر علينا طرح الإشكالية التالية:

كيف تشكلت العلاقة بين التداولية واللسانيات ، ونظرية التلقي؟

ولمناقشة هذه الإشكالية اتبعنا خطاطة البحث التالية معتمدين على آليات الوصف والتحليل:

• 1- التداولية و تحليل الخطاب

○ 1-1 التداولية فرع من اللسانيات

○ 2-1 المنهج التداولي

○ 3-1 الفعل الكلامي وتحليل الخطاب

● 2- التداولية ونظرية القراءة

○ 1-2 علاقة التأثير والتأثر بين النص وقارئه

○ 2-2 القصصية والأدب.

○ 3-2 التحليل التداولي وجمالية تلقي آيات من الذكر الحكيم

التداولية و جمالية التلقي

1- التداولية فرع من اللسانيات

1-1 التداولية فرع من اللسانيات

أضاف اللغويون إلى علم اللسانيات قسما هاما يطلق عليه اسم " التداولية"، بعدما كان يتفرع إلى قسمين أساسيين هما "النحو التركيبي" وهو يدرس علاقة العلامات اللغوية بعضها ببعض و"الدلالية" وهو يبحث في علاقات العلامات اللغوية بالمعاني التي تدل عليها. وكانا هذان الفرعان يطمحان إلى وصف عمل اللغة البشرية بينما التداولية فهي تعنى بدراسة العلاقات العلامية اللغوية بمستخدميها.

وإلى كتاب نشره سنة 1938 C. Morris ويعود الفضل في إنشاء هذه العلاقة الثلاثية إلى الفيلسوف الأمريكي موريس وفي هذا الكتاب أشار الفيلسوف إلى Foundations of the Theory of Signs بعنوان أسس نظرية العلامات اللغوية أهمية دراسة "ما يصنعه" المتكلم عن طريق اللغة.

2-1 المنهج التداولي:

يركز هذا المنهج على استعمال اللغة في سياق معين، أساسه وقواعده الأفعال الكلامية، وذلك وفق تطبيق الآليات التداولية، والتي يتم تطبيقها على نصوص خطابية حية، ولو جزئيا باهتمامهم بالطرائق التي تعبّر بها اللغة الإنسانية عن المعاني ، لذلك يميل علماء اللغة أحيانا إلى مباينة التداولية مع علم الدلالة "الذي بدوره يدرس معنى الجملة...يعني أنّ التداولية تختص بتقصي كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق لغرض تفسير اللفظ ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحيانا بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الذي قصده المتكلم"¹. ففي اللغة أفعال تنجز أو تحقق ما تحمله من المعاني

بمجرد التلفظ بها، وهذا يعني أنّ وظيفة اللّغة لا تنحصر بأن تنقل خبراً أو بأن تصف واقعة ولا بأن توصل إلى المرسل إليه معلومة يبعث بها عن طريق العلامات الصوتية المتكلم الأول أي المرسل كما وقع الاتفاق على تسمية الطرفين.

يرجع ازدهار هذا الفرع الجديد من الألسنيات اعتباراً من سنوات العقد السادس من قرن العشرين هذا. و أشهر من طور الدرس التداولي " أوستين " و "فسيرل" و "كرايس"، ودوكرو، ويعد " عزّاب التداولية، وتعتبر محاضراته : william james lectures التي ألقاها في جامعة هارفاد في 1967 التي جمعت ونشرت عام 1989 نقطة الانطلاق للتداولية"ⁱⁱ. توصل الفيلسوف الأمريكي كرايس إلى أنّ التداولية تساعد السامع في التوصل إلى استدلالات عن المعنى الذي قصده المتكلم اعتماداً على ما قاله المتكلم، وعلى الافتراضات المسبقة أو السياقات والمبادئ التواصلية التي يحرص المتكلم على إتباعها أثناء المحادثة.

ولنكتف بالإشارة إلى كتابين أساسيين في هذا المجال أحدهما للانكليزي أوستين J.I.Austin بعنوان: كيف نصنع أشياء بالكلمات (1962) (How to do things with words)والآخر للفرنسي دوكرو O. Ducrot وهو بعنوان: القول والفعل (1984)؛ حيث واقتفى الفرنسي دوكرو أثر الانكليزي أوستين فأظهر كيف أنّ الكلام يتوجه دائماً نحو مُرسل إليه وأنه يسعى دائماً على نحو مكشوف أو مستتر أن يؤثر فيه على نحو بيّن أو لا.

علاوة على ذلك، يحتاج هذا التحليل التداولي إلى متابعة نقدية ودراسية وتحليلية ، وهذا يخلق الحقول الدلالية التي تدرس النص في بحث قصدي وفق الكشف عن صفة المبدع والقارئ و هذا الأخير يدرس " المعنى كما يوصله المتكلم، ويفسره"ⁱⁱⁱ. لأنّ الكتاب لا يمكن أن يقتصر على الكشف عن بنيته الهيكلية العميقة أو على البحث عن الوشائج القائمة بينه وبين مؤلفه. ولكنه يفرض علينا أن نحلل علاقات التأثير والتأثر بين الكاتب والقارئ.

وعليه فالتداولية " هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم، والمعنى السياقي"^{iv}. فالنظرية التداولية قامت على مفاهيم مهمة مكونة لها مؤسسة لها كنظرية قائمة بذاتها زمن بين هذه المفاهيم نجد الفعل الكلامي بحيث يرتبط هذا المصطلح بالعملية التواصلية، وما يمكن ينتج عن قول فعل وصولي معناه العمل الاجتماعي المؤسس الذي ينجزه الإنسان بمجرد التلفظ بملفوظ معيّن.

1-3 الفعل الكلامي وتحليل الخطاب:

أ- الفعل الكلامي:

هو إنجاز الفعل عبر اللفظ؛ أي " تلفظ شفهي أو مكتوب يحمل معنى معيّن، ... ويعد نشاط مادي لغوي لتحقيق أغراض إنجازه"^v، وبالتالي يمكن القول، أنّ مهمة اللغة الحقيقية من خلال هذا، هي كيفية تحويل الأقوال التي تصدر إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية، وبالتالي الإنجاز، وهو القاعدة الأساس التي انطلقت منها التداولية، ويعتبر "أوستين" صاحب الفكرة، ويأتي بعده تلميذه " يسرل" ليطور ويواصل الإعطاء في الفعل الكلامي المتعلق بالإنجاز، ويقول عندما يكون " القول يكون الفعل"^{vi}. بحيث أنّ أين ما يكون التلفظ يكون الفعل، ويكون الإنجاز، وللـفعل الكلامي أقسام، وهي من تقسيم أوستين كالتالي:

- 1- الفعل الكلامي التلفظي أو التعبيري.
- 2- الفعل الكلامي الغرضي، أو الوظيفي.
- 3- الفعل الكلامي التأثيري.

بحيث يتمحور الأوّل وفق جملة إنتاجات مصحوبة بالمعاني والمراجع التأسيسية للقول والفعل معا" الفعل التعبيري locutionary act، أو إنشاء تعبير لغوي ذي معنى...مثلا: أعددت للتو بعض القهوة"^{vii} وعلى أساسه تكون الدلالة أو المعنى وفعل الخطاب هو مترتب ومكون من بعد صوتي وتعبيري وفي مضمون فعلي إنجاري وبياني من خلال السياق الذي يحدث فيه.

وفي نفس السياق، أوستين يستعرض معنيين من خلال هذا:

- المعنى الذي يفيد المعنى التعبيري، وهو معنى غائم إلا أنّه قابل للتعين والتحديد.
- والمعنى الذي يتيح الفعل البلاغي، وهو معنى معين ومحدد لا غموض فيه باعتباره يحيل إلى دلالة واضحة في ذهن المتكلم، ويوجد ما يعرف بالفعل الغرضي، أو "الفعل الوظيفي illocutionary act. ينجز الفعل الوظيفي عبر قوة اللفظ التواصلية"^{viii}. وذلك باكتشاف مضامينه من خلال المنجز ضمن القول نفسه، وليس الفعل الناتج وكذلك يتضمن توضيحه من خلال الفعل الإنشائي وقيّمته غرضية اجتماعية.
- ويأتي إنشاء لفظ ذو وظيفة معينة وتأثير معين يطلق عليه الفعل التأثيري "^{ix}perlocutionary act. ففي الجملة: أعددت للتو بعض القهوة. نفترض أنّ المستمع سيتعرض لتأثير معين، مثلا: رائحة القهوة العطرة، ودعوة المستمع لشرب القهوة.

علاوة على ذلك، أكد أوستين في محطاته البحثية على ضرورة التفريق بين الكلام الغرضي والفعل التأثيري، . في هذا يمكن القول أنّ الفعل الغرضي يتعلّق ب:

- الفعل المنجز ضمن القول وليس بفعل ناتج عن القول
- يمكن توضيحه بواسطة صيغة إنشائية.
- الفعل ذو خاصية اتفاقية، واجتماعية ولسانية.

وهذا كله يخضع للعملية التواصلية والمواضعة اللسانية الاجتماعية، وأثر ذلك على المتخاطبين.

ب- المنظور التداولي ضمن تحليل الخطاب: discourse analysis

يركز تحليل الخطاب على سجل العملية شفاهيا أو مكتوبا التي تستعمل فيها اللغة في بعض السياقات للتعبير عن القصد، بحيث ينصب التركيز على الروابط بين الجمل التي تنشئ التماسك أو على عناصر تنظيم نصية تميز سرد القصص.

ومن المنظور التداولي يميل إلى التركيز خصوصا على ما لم يتم قوله وما لم يكتب، و" النظر خلف الأشكال و البنى الواردة في النص، والتركيز الحثيث على مفاهيم نفسية مثل المعرفة الخلفية و المعتقدات و التطلعات، ففي تداولية الخطاب، نكون مجبرين، لا مخيرين على استطلاع ما في ذهن المتكلم أو الكاتب"^{xi}. أي تفسير ما لم يكتب و لم يتم قوله مستندة على بنى معرفة موجودة مسبقة، على سبيل المثال: "سيجيب نفر غير قليل من الناس بسهولة على السؤال المطروح: كم حيوانا من كل نوع أخذ موسى في سفينته؟، إذا خطر على بالك فورا "اثنان" فإنك ولجت إلى معرفة ثقافية عامة "^{xi}. بالرغم أن اسم "موسى" غير مناسب أي " سيدنا موسى - عليه السلام - ، والمرجعية التي جعلتك تجيب عن السؤال هي ثقافتك الدينية، لأن السفينة تعود إلى سيدنا نوح - عليه السلام-

وعلى هذا الأساس نجد تقاطعا بين التداولية ونظرية القراءة، وهو الرجوع إلى السياق الثقافي من أجل الوصول إلى المعنى الذي يقصده الكاتب أو المتكلم، وهو يتعلّق بما يكتسبه المتلقي من معارف سابقة تساعده على تفسير الكلام أو الخطاب.

2- التداولية ونظرية القراءة

2-1 علاقة التأثير والتأثر بين النص وقارئه:

أضحت العلاقة بين المرء و القراءة علاقة ترتبط بالعادات الثقافية وبالنماذج الثقافية التي تقترحها البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد القارئ كما أنها ترتبط كذلك بثوابته النفسية؛ إذ نجد أنّ التداولية " اتسعت لتشمل ميادين متنوعة، مثل التداولية الاجتماعية sociopragmatics، وعلم اللغة التداولي pragmatique، التداولية العامة

ومن جهة أخرى فإن تحليل نصّ ما يعني إما أن نتساءل عن كيفية قراءة النص أو أن نتساءل عما نقرؤه أو عما يمكن أن نقرأه في النص. فإذا كانت دراسة "كيفية القراءة" تضيف على نظريات "التلقي" بعضاً من صفاتها المميزة فإن البحث في "محتوى القراءة" يؤدي في أغلب الأحيان إلى التساؤل عن معنى النص أو عن معانيه. ويقود الباحث في هذا الطريق كذلك غموض المصطلحات التي يستخدمها. فينشأ عن ذلك خلط بين دراسة القراءة ودراسة العمل الأدبي.

وأما نظرية أيزر بخصوص القارئ الضمني فقد نشرها عام 1976. فبينما كان جوس يستقصي أبعاد التلقي التاريخية كان اهتمام إيزر منصباً على تحليل أثر النص الأدبي على الفرد القارئ. وينطلق إيزر من أن القارئ هو الغاية الكامنة في نية المؤلف حين يشرع في الكتابة. وعليه فإن واجب النقد الأدبي هو أن يبين كيف ينظم الكتاب المدرّس طريقة قراءته ويوجهها بغاية الحصول على الأثر المبتغى ثم عليه أن يظهر ردة فعل الفرد القارئ في ملكاته الإدراكية أمام السبل المختلفة التي يقترحها النص المقروء.

كما تتعلق القراءة بالفعل الذي تقوم به الذات القارئة؛ إذ تعمل على إخراج ذلك المعنى الموضوعي من الكلمات، والعبارات الموجودة في الخطاب، وهذا ما تحدث عنه "عبد الكريم شريفي" عندما أشار إلى قصدية هوسرل في هذا القول: "لأننا حينما نتكلم نمارس باستمرار قصداً داخلياً يظهر في الكلمات وينشطها... ونتيجة هذا التنشيط فإن الخطاب كله يجسّد القصد في دواخله ويحمله فيه في شكل معنى".^{xiv} وهذا تأكيد على دور الذات القارئة الواعية التي تدرك الظواهر من خلال تأويل النصوص؛ حيث تمنحها وجوداً مادياً ملموساً.

2-2 القصدية و الأدب:

قام رومان إنجاردن (1893- 1970) Roman Ingarden بتطبيق مفهوم القصدية على الأدب فحوّلها من طابعها المثالي المجرد إلى حقيقة مادية يمكن تحديدها إجرائياً، كما أدرج الإدراك أو طاقة الفهم مشكلاً استراتيجياً جديدة للفهم تحمل الطابع الظاهراتي للجمالية، ومنه فإدراك الظاهرة الأدبية بقصدية رومان أنجاردن قائم على عاملين وهما:

إدراك يوجد في العمل الأدبي، وإدراك يوجد خارجه؛ أي في ذات المتلقي.

ولقد تردد الدارسون دائماً أمام هذين المنهجين وكيفية اللجوء إليهما وتطبيقهما. وظهرت نتيجة لهذه المواقف المتباينة تيارات نقدية يمكن أن نميز بين أهمها مدرسة كونستانس الألمانية ومدرسة التحليل الدلالي (السيميوطقي) ومدرسة تحليل

ومدرسة كونستانس هي أولى المحاولات الكبرى لتجديد دراسات النصوص على ضوء القراءة. وكان اهتمام الباحثين قبل ذلك منصباً على كشف الروابط القائمة بين النص ومبدعه، فراح أتباع المدرسة الألمانية ينادون بانتقال البحث من العلاقة بين الكاتب ونصه إلى العلاقة بين القارئ والنص.

غير أن مدرسة تحليل كونستانس تتفرع في واقع الأمر إلى منهجين يتميز أحدهما عن الآخر. فبينما يعني الأول "بعلم جمال التلقي" وأبرز ممثليه هو هانز روبر جوس Hans Robert Jaus يهتم الثاني بفرضية "القارئ الضمني أو القارئ المستتر" ويقوده إيزير W. Iser؛ حيث استفادت كذلك من النقد الجديد؛ بحيث قدمت لنا مفهوم القارئ الضمني الذي "استنسخ من مفهوم المؤلف الضمني الذي جاء به الناقد الأمريكي "واين بوث wayne.c.booth" في كتابه "بلاغة التخيل" 1961م. وفي هذه الحقبة ساد الصراع حول مقصدية المؤلف؛ حيث كان مناهضاً لفكرة موت المؤلف^{xiii}.

لقد ظهر "علم جمال التلقي" في مطلع العقد السابع تحدوه الرغبة بإعادة النظر في طرق دراسة تاريخ الأدب. ويلاحظ جوس أن العمل الفني عامة والعمل الأدبي على وجه الخصوص لا يفرض نفسه ولا يستمر في الحياة إلا من خلال جمهور ما. وعليه فإن التاريخ الأدبي هو تاريخ جماهير القراء المتعاقبة أكثر من تاريخ العمل الأدبي بحد ذاته. وبما أن الأدب هو نشاط تواصلية فإنه ينبغي علينا أن نحلل الأدب من خلال الآثار التي يتركها على مجموعة المعايير الاجتماعية.

وبهذا نقل انجاردن مفهوم التّعالّي من الفلسفة إلى النّقد الأدبي، وتوصّل إلى أنّ التّعالّي يحدث بتفاعل بنيتين وهما: بنية نمطية ثابتة، وبنية مادية (بناء العمل الإبداعي) وهذا التفاعل يؤدي إلى توليد المعنى؛ أي اللّحظة التي يتعامل فيها المتلقي مع النصّ دون النّظر إلى المعطيات السابقة؛ حيث تقول بشرى موسى: "بل يتكون المعنى من خلال الفهم الدّاتي، والشّعور القصدي القائم على عمليتي الفهم، والتّفسير، والإدراك للجانب الداخلي لكلّ من الدّات والموضوع"^{xv}. وعليه فالمعنى الأدبي يمثل حصيلة تفاعل النصّ وفعل الفهم وهذا ما ذهب إليه انجاردن الذي قسّم العمل الأدبي إلى أربع طبقات^{xvi}، وهي:

أ. طبقة الصوتيات والكلمات والصياغات الصوتية: وهي التي تساهم في إبراز الإيقاع الموسيقي الذي يتجّه نحو الخارج.

ب. طبقة وحدات المعنى: وهي الطبقة التي تهتم بالجملة في العمل الأدبي، لأن الكلمة تأخذ معناها داخل الجملة، فالكلمات هي التي تحقق التركيب اللغوي للجملة، وبالتالي يتحدد المعنى.

ت. طبقة الموضوعات المتمثلة: هي طبقة العالم الرمزي المتكوّن من العمل الأدبي للأشخاص، والأحداث، والأفعال، والمشاعر.

ث. طبقة المظاهر التخطيطية: وهي تتمثل في أسلوب تمثل الموضوعات على نحو تخطيطي يتميز بها أسلوب العمل الأدبي عن عمل آخر.

على سبيل المثال تمثل الصياغات الصوتية، الصور، والمجازات في اللغة الشعرية، والبنية، وهيكل العمل الأدبي. وعليه فالقراءة عند انجاردن هي إدراك فرديّ للعمل الأدبي باستيعاب البنية الأساسية له من خلال دراسة طبقات العمل الأدبي؛ أي تفسيره وفق الطبقات الأربعة التي حددها انجاردن، وبهذا يتحقق المعنى كتكوين جمالي من خلال تفاعل بنية العمل، وبنية الإدراك.

وفي سياق آخر، نجد أنّ نموذج التحليل الدلالي الذي اقترحه الإيطالي أمبرتو إيكو Umberto Eco عام 1979 في كتابه القارئ في النص (Lector in fabula) لا يختلف اختلافاً كبيراً عن النموذج الذي دافع عنه إيزير. وهو يقترح تحليلاً لما يسميه "بالقراءة المتعاونة أو المستجيبة". وغاية التحليل كما يراها العالم الإيطالي هي دراسة كيف يرمج النص شكل تلقيه ودراسة ما يقوم به القارئ وبالأحرى ما ينبغي أن يقوم به القارئ الفطن كي يستجيب على نحو حسن للنداء الكامن في البنية النصية.

ويعود الفضل في ظهور نظريات التحليل "الرمزية" لفيليب هامون Hamon وألوتين Otten. وقد عرضها في العقد الثامن وهي تقوم على الرغبة بدراسة عملية القراءة من خلال تفاصيل النص. وليست الغاية هنا هي اقتراح نماذج تأويلية عامة تصلح لكل النصوص وإنما الغاية هنا هي اقتراح تحاليل محددة وغاية في الدقة تلقي الضوء على ما يميز هذا الجانب أو ذاك من عملية القراءة. ومع ذلك فقد حاول أوتين أن يقترح منهجاً تركيبياً نستطيع بفضل أن نفهم نشاط القراءة من خلال ثلاثة ميادين رسم حدودها بدقة. وهي ميدان النص المعروض للقراءة ثم ميدان هذا النص كما يقرؤه القارئ وأخيراً طبيعة علاقة ذلك النص مع قارئه.

ولكننا نجد عند هذه النقطة من منهج أوتين تفاصيل كثيرة يقتبسها من دراسات سابقه وخصوصاً إيزير وإيكو .

ثم ظهرت طريقة جديدة لدراسة عملية القراءة تأخذ بعين الاعتبار القارئ الحقيقي. وقد عرض الفرنسي ميشيل بيكار منهجه ذاك في كتابين نشر أولاهما عام 1986 بعنوان القراءة كلعبة وظهر ثانيهما بعد ثلاث سنوات بعنوان قراءة الوقت (Lire le temps). ويأخذ بيكار على المهتمين بدراسة القراءة أنهم يحللون في واقع الأمر قراءات نظرية ومجردة يقوم بها

قراء نظريون ومجردون. وهو يرى أن الوقت قد أزف لنطرح جانباً تلك القراءات الموهومة والتي لم توجد قط ولندرس القراءة الوحيدة الصائبة وهي القراءة الملموسة المحددة التي يقوم بها القارئ الملموس المحدد.

وعلى نقيض القارئ المجرد الذي يقترحه نموذجاً إيزير وإيكو فإن القارئ الحقيقي الملموس يدرك النص بذكائه وبرغبته وثقافته وبقيوده الاجتماعية والتاريخية وكذلك بشخصيته اللاواعية.

وفي هذا الصدد، تتقاطع التداولية مع نظرية القراءة في دراسة المعنى الذي يقصده المؤلف أو المتكلم دون إهمال للسياق الثقافي، وعليه، فالقارئ هو الذي يفهم، يفسر النص، ويؤوله، لذلك تغير مفهوم القراءة من فيلسوف لآخر فالقراءة عند سارتر تتمثل في تلك العلاقة الموجودة بين القارئ والأدب، وهي علاقة وظيفية تتمثل في التركيب بين الإدراك والخلق، فالقارئ هو الذي يعطي للأدب طابعه الملموس، وبالتالي يتحقق وجود العمل الأدبي، ومن خلال القراءة يتم اكتشاف الإنتاج الفني، وإدراكه من طرف القارئ الذي يعمل على إخراجه للوجود لأن الكتابة ما هي إلا علامات سوداء على الورق لا وجود لها إلا عن طريق القراءة التي يفتح بها النص على العالم الخارجي، وعلى القارئ، وتأويله كما افترضه 'امبرتو إيكو' الذي يحرك الموسوعة المعرفية، وينشطها من خلال التفاعل مع النص، وبهذا تبرز الطاقة التخيلية التي ترتبط بالمتلقي، وهذا ما استثمره 'أيزر' في مشروعه الجمالي.

2-3 التحليل التداولي وجمالية تلقي آيات من الذكر الحكيم

قمنا بتحليل آيات من الذكر الحكيم تحليلاً تداولياً مع إبراز جمالية تلقيها عبر الأزمنة، ففي النظر إلى الآيات الكريمة التالية: بسم الله الرحمن الرحيم:

{ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ 19 بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ 20 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ 21 يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ }
22 { سورة الرحمن. }

والآية 53 من سورة الفرقان:

{ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا 53 } صدق الله العظيم.

التحليل:

عناصر السياق المتوفرة لدينا هي: كلام الله عز وجل / و المخاطب: الإنس والجن، / وكتاب القرآن، ومكان نزولها في مكة

المكرمة، والزمان: سورة الرحمان قبل الهجرة، وسورة الفرقان في السنة العاشرة من البعثة.

التحليل التداولي:

أفادت الأفعال الكلامية في هذه الآيات الكريمة الإخبار و الإقرار بقدرة الله عز وجل على الخلق والإبداع وتدير شؤون الكون وتنظيمه.

وفي هذا الصدد، يخبرنا - سبحانه - بأنه أرسل بحرين يلتقيان دون أن يختلطا، والذي يفصل بينهما حاجز، وهو البرزخ؛ حيث يحافظ كلّ وسط مائيّ على خصائصه، فلا يتجاوز حدود وسطه، وبهذا لا يفسد خصائص الوسط الآخر، فلا يغيان، ولا تتعدى كائنات الوسطين (المالح و العذب) على بعضها البعض، قال تعالى: { هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج }، هذه المادية اللغوية المعجزة (هذا)، أفادت الإخبار عن واقعة و ظاهرة حقيقية بمعنى إشاري، وهذا الاختلاف يضمن استمرارية الحياة، وهنا تتجلى قدرة التنظيم.

وبالنسبة للأفعال الإنجازية التي تنجم من هذا الإخبار، هي فعل التعظيم لقدرته - عز وجل - ، إضافة إلى التفكير والتأمل في خلقه سبحانه، والتشوّق على معرفة واكتشاف كيفية حدوث ظاهرة المرج الكونية. فبعد الاكتشافات المتطورة وصل العلماء إلى مكان التقاء البحرين، مع العلم أنّ البحر في اللغة العربية يحمل معاني الاتساع، فكل وسط مائي واسع يطلق عليه مصطلح: البحر.

علاوة على ذلك، حاول العلماء اكتشاف سبب عدم اختلاط هذين الوسطين الواسعين بالرغم من أنّ الماء له ميزة الانتشار، والانسحاب، والله - جلّ جلاله - قال في هذه الآيات: { جعل بينهما برزخا وحجرا محجورا }. وهنا تتجسّد جمالية تلقي القرآن الكريم عبر الأزمنة؛ إذ سحّر العلماء كل الكشوفات العلمية الحديثة من أجل تفسير هذه الظاهرة الكونية تفسيراً علمياً؛ حيث أسفرت النتائج: أنّ عدم اختلاطهما يعود إلى أنّ كل وسط يحافظ على خصائصه الكيميائية والفيزيائية، مثل الملوحة، والكثافة، ودرجة الحرارة، والذي يفصل بينهما هو الحجر، أو البرزخ، وهو ما يعرف بمصطلح الجبهة عند العلماء وهو وسط مائي رفيع غير مرئي. كما أنّهم حاولوا تجربة هذه الظاهرة الكونية غير أنّهم فشلوا.

مع العلم أنّ هذه الظاهرة تحدث عند التقاء مياه البحر المتوسط مع المحيط الأطلسي في مضيق جبل طارق، وعند التقاء مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي عند مضيق المندب

في نفس السياق، أينما يوجد القول يوجد الفعل، ففعل قراءة القرآن بتدبر وتأمّل، وتفكّر ينتج عنه أفعال تأثيرية كالدهشة والإعجاب، و هذا التأثير بكلام الله - عز وجل - يتكرر عبر الأزمنة.

ففي القديم ، أَدَّى الفعل الكلامي في القرآن الكريم إلى إقرار الوليد بن المغيرة ببلاغة وحلاوة ألفاظه، وهذا الفعل الإنجازي يدل على اعتراف أعداء الدين الإسلامي ببلاغة القرآن؛ أي إعجازه البلاغي.

كما تجسّدت جمالية تلقي القرآن الكريم عند علماء اللغة أمثال: الجاحظ ، والرمانى، والسيوطي، وكذلك في التفاسير كابن كثير وفي تفاسير عديدة للقرآن الكريم مثل تفسير الطّبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي، وفي الوقت الراهن نشهد جمالية تلقي فريدة من نوعه من طرف العلامة الجزائري محمد صافي المستغانمي.

علاوة على ذلك، نجد أنّ جمالية تلقي القرآن عبّر الأزمنة تتحقق في تلك الأغراض الإنجازية، والتأثيرية ، وهنا يستمتع المتلقي بلذة الاشتغال اللّغوي والتداولي في كلّ أوجه القرآن البلاغية والإعجازية ، والدينية، والعلمية، لذلك يرى الزمخشري أنّه يمكن تمكين المعاني الإلهية التي يصعب إدراكها عن طريق التخيل، الذي يأخذه في رحلة تأملية في هذا الكون الجميل، ففي قوله عز و جل: { يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان }، فالفعل المضارع " يخرج " ينتج عنه فعل إنجازي، وهو إخراج الإنسان لهذه الكنوز م(اللؤلؤ الأبيض، واللؤلؤ الأحمر المرجاني) من أعماق هذه الاوساط المائية العذبة والمالحة، وهذه دلالة على رحمة الله بعباده؛ حيث يسخر الكون بجماله لضمان استمرار حياة الكائنات، وهذا ما يثير الدهشة، والإحساس بالعجز الأمر الذي يزيدنا تقديسا وحبا لهذا الخالق القادر، الرحيم.

يمكن إجمال هذه الدراسة، بأنّ جمالية تلقي القرآن الكريم، وإدراك معانيه لغويا و علميا، تثبت أنّ الحقائق العلمية التي توصل إليها الإنسان هي حقائق نسبية لا زالت تحتاج المزيد من الاجتهاد، بينما الحقائق العلمية التي أخبرنا العلمية التي أخبرنا الله عنها هي حقائق مطلقة، وثابتة، وهذه دلالة على كمال الخالق وعجز المخلوق و نقصه عدم كماله.

كما أنّه يتوجّب التكامل المعرفي بين الدين والعلم، ولا يمكن الفصل بينهما كما فعلت العقلانية الغربية المجردة من الدين؛ فالجمالية تتحقق في الجمع بين الدين والعلم؛ أي عقلانية مسددة بأخلاق الدين الإسلامي، وتتجسّد في كيفية تفاعل المتلقي مع النص القرآني، فالإعجاز في القرآن ليس مجرد إعجاز بلاغي قديم، بل يتعدى ذلك إلى الإعجاز العلمي، والتشريعي، والغيبي؛ فيستمتع الإنسان بلذة الإشتغال اللغوي والتداولي، والعلمي في كلّ أوجه القرآن الكريم.

ومع التطورات الحديثة، يمكن تجسيد هذه الجمالية بشكل ملموس في قصص رقمية، وذلك بتحويل الأفعال الإنجازية لتحويل فعل إنجازي إلى مشهد.

الخاتمة

عطفًا على ما سبق، توصلنا إلى النتائج التالية:

- -التداولية تدرس الفعل الإنساني القصدي.
- - التداولية هي دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال.
- - إن المحادثة هي دائماً محاولة لجر الآخر إلى اتخاذ موقف ما.
- - النظرية التداولية قامت على مفاهيم مهمة مكونة لها مؤسسة لها كنظرية قائمة بذاتها زمن بين هذه المفاهيم نجد الفعل الكلامي بحيث يرتبط هذا المصطلح بالعملية التواصلية، وما يمكن ينتج عن قول فعل وصولي معناه العمل الاجتماعي المؤسس الذي ينجزه الإنسان بمجرد التلفظ بملفوظ معين.
- - تتقاطع التداولية مع نظرية القراءة في دراسة المعنى الذي يقصده المؤلف أو المتكلم دون إهمال للسياق الثقافي
- - وبهذا نقدم منفعة تربوية للأجيال الصاعدة، وتعليم اللغة العربية، وفهم القرآن الكريم فهما سليما.

المراجع

- [1] -جورج يول، التداولية، تر الدكتور قصي العتّاي، الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل، ط1، لبنان، 1431هـ الموافق ل2010.
- [2] عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2003
- [3] أنطوان كومبانيون: شيطان النظرية: الأدب والمعنى العام، تر: بلقاسم عيساني، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر. 2018،
- [4] عبد الكريم شريفي، من فلسفات التأويل الى نظرية القراءة ، منشورات الاختلاف، ط1 ، الجزائر. 2007،
- [5] بشرى موسى صالح، نظرية التلقي :أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي للدار البيضاء، ط 1، المغرب. 2001،

ⁱ جورج يول، التداولية، تر الدكتور قصي العتّاي، الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل، ط1، لبنان، 1431هـ الموافق ل2010، ص: 13.

ⁱⁱ جورج يول، التداولية، المرجع السابق، ص: 13.

ⁱⁱⁱ - جورج يول، التداولية، المرجع السابق، ص: 19.

^{iv} - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

^v - عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2003، ص: 157.

^{vi} - المرجع نفسه، ص: 158.

- vii - جورج يول، التداولية، ص: 82.
- viii - جورج يول، التداولية، ص: 83
- ix - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- x - جورج يول، التداولية، ص: 128.
- xi - جورج يول، التداولية، المرجع السابق، ص: 14.
- xii - أنطوان كومبانيون: شيطان النظرية: الأدب والمعنى العام، تر: بلقاسم عيساني، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، 2018، ص: 161.
- xiii - عبد الكريم شريفي، من فلسفات التأويل إلى نظرية القراءة، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر، 2007، ص: 26.
- xiv - بشرى موسى صالح، نظرية التلقي: أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي للدار البيضاء، ط 1، المغرب، 2001، ص: 37.
- xv - بشرى موسى صالح، نظرية التلقي: أصول وتطبيقات، المرجع السابق، ص: 38.